يصغي بانتباه إلى أقواله. وكان «العجوز» بن – غوريون يكن له ثقة كبيرة، فمنذ سنة ١٩٥٦، أعد شاؤول أفيغور، بناء على طلب «العجوز»، تقريراً ومجموعة من التوصيات حول تغيير الهيكل التنظيمي للأجهزة، وفهم منها، ولو بصورة غير مباشرة، أنه ينبغي وضع شخص آخر على رأسها. لكن بن – غوريون لم يبد اهتماماً بالتوصيات وأبقى الوضع على حاله. والحقيقة أنه لم يستجب لطلب إيسر هرئيل المتكرر والمتعلق بنقل التقويم القومي للوضع، الذي يسلم بصورة دائمة إلى الحكومة، من الاستخبارات العسكرية إلى المؤسسة (الموساد). غير أن علاقة بن – غوريون كانت، على أي حال، محصورة في كونه مستشاراً لشؤون الاستخبارات والأمن، وكان لتقديراته وزن حاسم[٣٨]. ولا يعني هذا أن إيسر هرئيل بالرغم من علاقته المميزة مع بن – غوريون، لم يجابه صعوبة ومعارضة من قبل رؤساء الأجهزة الأمنية الاخرى. فعلى سبيل المثال، لم يوافق كل من رئيس الأركان ورئيس شعبة الاستخبارات على هذا الوضع المتميز، حيث نشبت نتيجة لذلك عدة احتكاكات. ولكن سادت علاقة طيبة بينه وبين رئيس الأركان حاييم لاسكوف، الأمر الذي ترك أثراً طيباً على أجهزة المخابرات[٣٩].

وقد تغير هذا كله خلال أسابيع معدودة سنة ١٩٦٢، وذلك إثر قضية العلماء الالمان في مصر. ففي تموز (يوليو) ١٩٦٢، أطلق الجيش المصري سلسلة من الصواريخ التجريبية متوسطة المدى، وارتفعت أصوات تتهم إيسر هرئيل بالركض وراء يوسله (طفل اختطفه اقاربه المتدينون، وهربوه إلى الخارج، وقد تدخلت المخابرات لإعادته لوالديه)، بدلاً من الاهتمام بأمور جادة. ومع أن هرئيل استنفر رجاله فوراً لكشف مشروع الصواريخ المصري، وقد نجح في ذلك، إلا أن الأمر لم يبدد الانطباع القائل بأن المخابرات تنزلق أحياناً إلى مهمات ثانوية بالنسبة إلى أمن الدولة. وخلال زمن قصير، اكتشف مبعوثو الموساد أن جماعة من العلماء الالمان تساعد عبدالناصر على تطوير صناعة صواريخ مصرية. وعلى الفور، اتخذت إجراءات ملائمة لوقف أعمالهم في مصر. وتحدثت صحف العالم عن التهديدات، وعن مضايقة العلماء الالمان في مصر، من قبل مجهولين. لكن خلال موجة الأخبار التي وصلت إلى البلد حول نشاط العلماء الالمان، شاعت أيضاً قصص عن الاشعة القاتلة، والسلاح البكتيري والاشعاعي والكيماوي: سلاح يفني كل شيء حي، ونتيجة لذلك، ساد الذعر بين الجمهور، وظهرت مرارة اليهود، وحساسيتهم العميقة إزاء كل ما هو مرتبط بالمانيا. ويبدو أن إيسر هرئيل نفسه، الذي تأثر بشكل عميق بالقبض على ايخمان، والذي اتخذ موقفاً متطرفاً من سياسة بن – غوريون الداعية للتقرب من المانيا، أعطى وزناً مبالغاً فيه للقصص الخيالية المتعلقة بالأسلحة الرهيبة التي يعدها علماء نازيون لناصر. وفي أوج الحملة العامة والسياسية ضد الالمان، وضد المانيا نفسها، تنبه بن – غوريون إلى الخطر الكامن وراء ذلك كله، خصوصاً بعد أن اتضح له أن الصواريخ الالمانية ليست مخيفة إلى تلك الدرجة التي يعتقدها هرئيل. ونشب خلاف عنيف بين الرجلين كان أثره مضاعفاً، بسبب تقاربهما والثقة العميقة المتبادلة بينهما. وقد غضب إيسر هرئيل واستاء وقدم استقالته. وعندما يئس بن – غوريون من حمله على العودة عن خطوته، اتجه إلى البحث عن «قائم مقام» مؤقت للميمونة. وفي النهاية، عين مئير عميت،